

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Université ZIANE ACHOUR De Djelfa

Faculté : Lettres et Langues

et SC. Sociales et Humaines

Département : Sciences Humaine

جامعة زيان عاشور- الجلفة

كلية الآداب و اللغات

و العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية



محاضرات مقياس أوربا و أمريكا

(1789 - 1914 م)

السنة الثالثة تاريخ- السادس الثاني



برنامج مقياس : أوربا و أمريكا (السداسي الثاني)

مدخل

1- الثورة الأمريكية 1775 – 1783

أسبابها :

1. السياسة البريطانية في مستعمراتها الأمريكية

2. قانون الملاحة والمالية

3. أحداث بوسطن ()

مراحل الثورة الأمريكية

1. المرحلة الأولى 1773 / 1775

2. المرحلة الثانية 1775 – 1776

3. مرحلة التوسيع

2- الثورة الفرنسية

فرنسا خلال القرن 18 م (أوضاعها)

أسباب ودوافع الثورة

1. النظام الملكي

2. نظام الطبقات : (الأشراف - الأكليروس رجال الدين - العامة

3. الأوضاع المالية والاقتصادية

تطور الثورة

سقوط الباستيل ، إلغاء الامتيازات ، و فرار الملك

النوادي (نادي الكوفدال - نادي اليعاقبة - نادي الجيرونيين)

دستور 1791

3- المؤتمرات

- مؤتمر فيينا 1815 - مؤتمر اكس لا شابيل 1818 - مؤتمر تروباو 1820 - مؤتمر بيرونا

1822

4- الوحدة الألمانية

ألمانيا ما قبل القرن 19 م

غزو نابليون لألمانيا

ميلاد الوعي القومي الألماني

جهود بروسيا في نشأة الوحدة

سياسة بسمارك في الوحدة

الثلاثات (استثناءً) لاستكمال الوحدة

1. الحرب مع الدنمارك 1864

2. الحرب مع النمسا 1866

3. الحرب مع فرنسا 1870

إتمام الوحدة

5- الوحدة القومية الإيطالية

أوضاع إيطاليا قبل الوحدة

ظهور الوعي القومي الإيطالي

حركات الوحدة

1. حركة الاتحاديين في الولايات البابوية

2. حركة الجمهوريين

3. حركة التحرير والوحدة البيدمونتية

أعمال كافور في الوحدة

الحرب مع النمسا ، حركة غاريبالدي و إتمام الوحدة

قائمة المراجع - مقياس أوربا وأمريكا

عبد العزيز سليمان ، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديثة

محمد محمود النيرب ، المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية ج 1 ، 1877 م

شوفي عطا الله الجمل و عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ، تاريخ أوربا من النهضة حتى الحرب الباردة

جلال يحيى ، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر ، حتى الحرب العالمية الأولى

عمر عبد العزيز ، دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث

عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر 1815 – 1919

مدخل :

كان تطور الاستعمار البريطاني في العالم الجديد يحمل في ثنائيات الحكم الذاتي أو انفصال المستعمرات عن الوطن يوماً ما ، وذلك لأن التك وين الاجتماعي للمستوطنين والبناء الاقتصادي كان أوربياً إنجلزياً ، أي بمعنى آخر كان يحمل مفاهيم الحكم الإدارية والبرلمان والفكرة القائلة بحق الشعب في أن يتولى حكم نفسه بنفسه ، وكان الجيل الجديد يتطلع إلى تشكيل شخصية سياسية مستقلة .

الثورة الأمريكية 1775 – 1783 م

هي الثورة التي قامت ضد بريطانيا وأدت إلى ميلاد دولة جديدة باسم الولايات المتحدة ، كانت الثورة أو الحرب الثورية ، قد اندلعت بين بريطانيا والولايات الثلاث عشرة المتدة على الساحل الأطلسي في أمريكا الشمالية .

بدأت الحرب في 19 أبريل 1775 م عندما اصطدم البريطانيون بالثوار الأمريكيين في مدينتي لكسنجلتون وكونكورد في ماساشوسيتس ، واستمرت ثماني سنوات وانتهت في 3 سبتمبر 1783 م ، عند توقيع معاهدة باريس بين بريطانيا والولايات المتحدة التي اعترفت فليها بريطانيا باستقلال الولايات المتحدة

أسبابها :

- السياسة البريطانية في مستعمراتها الأمريكية : تقوم سياسة بريطانيا على حق الملك في تعيين حكام الولايات ، مع عدم تعارض سياستهم مع صالح بريطانيا ، وفي ظل وجود مجالس نيابية منتخبة تقرر سياسة الولايات والتي تعتبر رمزاً للحكم الذاتي منحت للسكان الجدد حق المطالبة بمساواتهم بالإنجليز في الوعن الأم ، مما أزعج الأنجلiz الذين هم مجرد رعايا عليهم واجبات الدفاع عن صالح بريطانيا ودعمها مالياً من خلال ما يفرض عليهم من ضرائب مما تسبب في تقلص نفوذ المجالس النيابية وممارسة السكان الحكم الذاتي .

- قانون الملاحة والمالية : تدخل بريطانيا من خلال الملك جورج بفرض سياسة مالية تجاوزت بها صلاحيات المجالس النيابية وتمثلت في :

1. إصدار المرسوم الملكي الذي يحرم على المستوختين شراء الأراضي في المقاصعات الجديدة

2. إصدار قرار فرض الضرائب على صادرات المستعمرات من السكر

3. إصدار قرار فرض ضريبة الدمغة على السلع والوثائق والصحف

وقد طالب المستوطنون بإلغاء جميع الضرائب رافعين شعار (لا ضرائب بدون تمثيل) فاستجاب الحكومة البريطانية بإلغاء قانون الدمغة والإبقاء على ضريبة الشاي مرتفعة.

- أحداث بوسطن : في عام 1773م أصدر رئيس الوزراء الأنجلزي اللورد نورث ، قانون يمنح شركة الهند الشرقية حق احتكار بيع الشاي في بوسطن ، حيث اعتدى بعض المستوطنين ، الهنود الحمر و القوا بحملات السفن الأنجلزية من الشاي في الميناء ، فأغلق ميناء بوسطن وأعلنت الأحكام العرفية في ماساشوستس .

مراحل الثورة الأمريكية :

- المرحلة الأولى 1773 – 1775 : وعرفت هذه المرحلة التطورات التالية :

1. بداية الاشتباكات المسلحة بين سكان المستعمرات وحكومة بريطانيا

2. دعوة مجلس ماساشوستس لعقد مؤتمر نيويورك 1765 ، وتم الاتفاق فيه على مقاومة الواردات البريطانية والتحالف في حالة اعتداء بريطاني

3. عقد مؤتمر فيلادلفيا الأول في 05 سبتمبر 1774 تحت رئاسة جورج واشنطن ضم الولايات الثلاث عشر ، والذي وضع احدى مؤسسات الدولة الأمريكية إلا أن بريطانيا واجهت قرارات المؤتمر بالرفض وضاعفت تهديدها للولايات الأمريكية .

4. عقد مؤتمر فيلادلفيا الثاني في 10 ماي 1775 والذي اصرت فيه الولايات الأمريكية على التمسك بمطالبها وعدم الامتثال للتهديدات البريطانية .

- المرحلة الثانية 1775 – 1776 : وعرفت هذه المرحلة التطورات التالية :

1. انتشار الثورة في جميع الولايات الأمريكية ، تحت قيادة جورج واشنطن الذي اصدر إعلان الاستقلال في 4 جويلية 1776 .

2. نجاح قوات الولايات المتحدة في تحقيق انتصارات ، أبرزها معركة سارتوغا 17 اكتوبر 1777 .

3. وقف فرنسا إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية في دعمها بالمعدات والرجال و المال ، كما تدخلت كل من إسبانيا وهولندا لنهر الشعب الأمريكي

4. تعاطف الرأي العام الأوروبي مع الثورة الأمريكية

5. توالي هزائم الأنجلوسي في معارك عديدة أهمها معركة يورك تاون في 19 أكتوبر 1781.

6. لجوء بريطانيا إلى التفاوض والصلح لإنهاء الحرب الذي تم توقيعه في 03 سبتمبر 1783

نتائج الثورة :

ترتب عن هذه الثورة مجموعة من النتائج ملخصها فيما يلي :

- استقلال الولايات المتحدة عن بريطانيا وإقرارها لدستور فدرالي 1787 .
- قيام الثورات في أوروبا منها الثورة الفرنسية
- زيادة اتساع مساحة الولايات المتحدة
- زوال الاحتكار البريطاني في الولايات الأمريكية
- ساعدت الثورة الأمريكية بعض القوى الأوروبية لاسترجاع مستعمراتها من بريطانيا في جزر الأنتيل والبحر المتوسط
- نمو الفكر الانفصالي في المستعمرات الأمريكية داخل القارة الأمريكية بعد رفع شعار أمريكا للأمريكيين سنة 1823

مرحلة التوسيع :

بعد انتهاء الحرب الأهلية اشتغلت الولايات المتحدة بالاسكا وجزر ألوشيان من روسيا ، ثم توسيعت في الجزر الباسيفيكية على حساب إسبانيا ، جزرهاولاند وبيكير عام 1857 وميدوانى عام 1859 وهاواي وفيتنام في نهاية القرن التاسع عشر ، وانتزعت الفلبين من إسبانيا واستعمرتها عام 1899 إلى أن منحتها الاستقلال عام 1946 .

وفي بداية القرن العشرين بدأت تتوسيع في منطقة الكاريبي فاحتلت بورتوريكو وبنما التي شقت فيها قناة بنما الواصلة بين المحيطين الأطلسي والهادئ والتي تعد من أهم النقاط الاستراتيجية في تركيبتها كقوة عالمية.

بدأت الولايات المتحدة باقتصادر زراعي وبمجتمع ريفي مخلخل ، وظلت طوال القرن التاسع عشر دولة زراعية تصدر الخامات الزراعية و تستورد المنتوجات ، و تمثل حضارة ريفية غير مدنية (الكاوبوي) ، ولكنها تحولت بسرعة إلى أعظم وأغنى دولة صناعية وأضخم قوة حضارية حديثة تقود العالم في كل مجالات الإنتاج ، و تحتكر الأولوية والصدارة ، وتضاعف عدد سكانها خلال قرن و نصف أكثر من خمسين ضعفا .

لقد بدأت الولايات المتحدة الأمريكية من حيث انتهت أوربا ، فأخذت عنها نقاط قوتها و تخلصت من نقاط ضعفها و نشأت مع الآلة البخارية و القطار متجاوزة مرحلة الإقطاع ، ولم تعاني من المنافسة و الحروب في القارة الأمريكية ، فجميع دول القارة تقريبا ، إما أنها امتداد جغرافي و بشري مثل كندا أو تابع مستكين يدور في فلكها تمثل مزرعة و مناجم و حدائق خلفية لها .

الثورة الفرنسية

أوضاع فرنسا خلال القرن 18 م :

شهدت أوروبا خلال القرن 15 ظروفا سياسية استمرت عقودا طويلا ، فشهدت الولايات الاميرالية حروب داخلية ، كذلك الدوليات الألمانية ، فضلا عن الصراع الديني الطويل الذي عمر أرجاء أوروبا ، وكانت فرنسا تشكل الثقل السياسي والعسكري الأوروبي نظراً لوقعها و قوّة جيشهَا ، و دفاعها و تشددها عن المذهب الكاثوليكي ، فلقد حاولت منذ فرنسوا الأول أن تجد موضع قدم لها خارج أوروبا ، فاتخذت من الامتيازات الدينية ذريعة لتجد مكانا لها في ساحة الدولة العثمانية المتراجمة ، بل هي قاطرة الحركة الاستعمارية ، وعلى نحوها سارت كل من إسبانيا و البرتغال و بريطانيا و إمبراطورية النمسا و المجر و روسيا القيصرية .

ولما هبت رياح الثورة اعتبرت أكبر حدث تاريخي منذ سقوط القسطنطينية ، فكانت هذه الثورة إيذانا بعهد جديد أزاح الملكيات الأوربية و أعاد ترتيب النظم السياسية في أوروبا ، بل شملت حتى النظم الاجتماعية و الاقتصادية ، و اعتبرت هذه الثورة مركزاً لتجدد حدود فرنسا ، و وصلت مطالب تلك الثورة إلى حيث اشتكمى الناس ، فالثورة الفرنسية جاءت لتزيل كل ما كان من عهد الإقطاع و من طغيان طبقة النبلاء و من امتيازات و سلطات واسعة تمارسها طبقة رجال الدين ، دون مبرر إنساني ، كما جاءت بهدف تحرير الحياة السياسية من طغيان الملكية ، و تمسكها بسلطات زعمت حصولها عليها من رب العالمين ، و الواقع أن ثورة 1789 قامت في فرنسا إلا أنها شرحت علل أوروبا بأكملها و حتى الحلول التي أوجدها صلحت بلدان كثيرة ، و صارت هذه الثورة مدرسة للعالم المتmodern خلال القرنين 19 و 20 م .

أسباب ودواتع الثورة :

إن تداخل أحداث الثورة الفرنسية وزخم الترسبات من عهد الإقطاع والإصلاح الديني جعلت من الصعوبة بما كان أن نحدد بشكل قاطع كل الأسباب ، إلا أنه يمكننا من خلال قراءة الوضع العام في فرنسا أن نقف عليها ونحددها وفق الأسباب التالية :

1 – النظام الملكي :

أواخر القرن 18م كانت الملكية الفرنسية ما تزال تسير وفق ما عمل به لويس الرابع عشر من نظريات الحكم المطلق الاستبدادي ، لذلك عمل ملوك فرنسا على تطبيق أعراف الملكية ، بل كان الاستبداد حقا من الحقوق المسلم بها ، فيضع ما يشاء من القوانين ، ويفرض ما يشاء في المحاكم ويستبدون بحقوق العامة ، ويأخذون أموالهم ويصادرون تجارتهم ، بغير وجه حق .

ومما زاد في صعوبة الملكية عشية الثورة أن الملك لويس السادس عشر كان ضعيفا مترددًا مستهترًا ، تحكم في قراراته الملكة وبعض أعوانه المقربين منه ، مما جعل الملكية الفرنسية وخاصة هذا الملك غير قادر على مواجهة ثورات الداخل ومجابهة آراء المثقفين والمطالبين بالإصلاح ، وفي فترات لاحقة سُنِّى أن بعض أعوانه انقلبوا عليه .

2 – نظام الطبقات :

لعل أكثر ما يؤذى مشارع الفرنسيين خلال تلك الفترة ويثير فيهم الذلة والتهميشه والاحتقار هو تمسك النظام الملكي بنظام الطبقات الموروث من العصور الوسطى ، والذي يجعل الفرنسيين درجات تختلف في المراتب والحقوق ، ويمكننا أن نميز في سلم الرتب الاجتماعية الفئات التالية :

- طبقة الأشراف : ورثوا عن أسلافهم امتيازات منذ العصور الوسطى فكانوا يملكون جل أراضي فرنسا الزراعية وكانوا يستأثرون بالمناصب العليا في الجيش والإدارة و يحافظون على حقوقهم بالإعفاء من الضرائب ، وتلك الحقوق توارثوها وحافظوا عليها بحرص ، ومع مرور الوقت أصبحت الامتيازات تؤرق عموم الناس .

- الإكليلوس : وهم رجال الدين الذين شكلوا طبقة لها نفوذ قوي ، حافظت على امتيازاتها التقليدية منذ العصور الوسطى ، وأصبحوا يملكون ثروة مادية عظيمة ، وكانت الأديرة والرهبانيات المنتشرة في أرجاء فرنسا تملك مساحات شاسعة من أجود الأراضي تشكل خمس (5/1) مساحة فرنسا يعمل فيها آلاف الفلاحين في ظروف قاسية ، لكنها بعيدة عما أوصى به اليسوع (عيسى ابن مريم عليه السلام) ، زيادة عن موارد الكنيسة من عائدات الضرائب التي كانت

تجبى من المواطنين وقد وصل مردودها عشية الثورة إلى حدود 200 مليون فرنك ذهبي ، كما أن الإكليروس مثل الأشراف معفون من الضرائب .

○ طبقة العامة: تضم سواد الفلاحين ومعظم البسطاء ، وهؤلاء هم من يتحملون عبء الضرائب ، وهم من يشتغلون في مزارع النبلاء ، وهم من يكونون وقود الحروب والمعارك ، وببساطة فهم يتزمون بواجبات كبيرة تقابلها حقوق ضئيلة ، فالقانون الفرنسي لم يعترف لهم بحقوقهم في الحريات ولا يسمح لهم بالمشاركة في الحياة السياسية ، ولا يسمح لهم بمصاورة طبقة النبلاء ، و الواقع أن هذه الطبقة بدأت تنشأ حينما تحرر بعض ... أواخر العصور الوسطى ، وبدأ بعضهم في ممارسة التجارة والحرف والصناعات ، ومما ساعدتهم في نجاحهم ترفع أبناء النبلاء عن ممارسة هذه الأعمال ، ثم إن اكتشاف أمريكا واتساع آفاق التجارة الخارجية فتح أمام الكثيرين منهم سبل الغنى والثروة ، ومن أبناء هؤلاء أيضاً من تفرغ للعلم والثقافة وكثروا بينهم الأطباء والأساتذة والمحامون والأدباء ، ولم يمضي وقت طويلاً حتى صارت هذه الفئات المثقفة راغبة في مواجهة أبناء النبلاء على المراكز الكبيرة في الدولة ، وكان منهم كتاب وعلماء وفلاسفة ، وقد ساهمت هذه الطبقة أيضاً في تعديل برامج التعليم وتنوير الرأي العام ، بالامتيازات التي يمتلكها النبلاء والإكليروس وهو ما سيثير عموم الناس لاحقاً . لذلك صرَّح أحد النبلاء قائلاً : " إن الثورة الفرنسية كانت ثورة ضد امتيازات النبلاء والإكليروس أكثر مما هي خروج عن سلطان النظام الملكي " .

3- الأوضاع المالية والاقتصادية :

كانت فرنسا تشكو عجزاً مالياً كبيراً في خزانتها ، تعود جذورها إلى الملك لويس الرابع عشر ، وازدادت الأزمة وتفاقماً بسبب ما تحملته الخزينة الفرنسية من أعباء الحرب الأمريكية ، لأن فرنسا وقفت إلى جانب الأمريكيين ضد الانجليز ، إضافة إلى استنزاف البلاد ومصاريف النبلاء وامتيازاتهم ، ويكتفي للوقوف على الوضعية المالية لفرنسا قبيل الثورة 1788 أن نعرف حسابات الخزينة الفرنسية ، فلقد كانت المصارييف تقدر بـ 629 مليون فرنك بينما واردات الخزينة لا تتجاوز 503 مليون فرنك ، أي بعجز يقدر بـ 126 مليون فرنك ، ولعل نقطة ضعف هذه البلاد هي الطريقة الفاسدة في توزيع تلك المصارييف ، فقد بالغ القصر في زيادة المصارييف فضلاً عن حظوة أصحاب الامتيازات .

هذه الوضعية السيئة دفعت الملك لمحاولته إجراء إصلاحات على الوضع المالي خاصة في السنوات التي سبقت الثورة ، منها محاولات الوزير تيرغو والوزير نيكر إلا أن مساعديهما خابت أماستحالاته تحصيل الضرائب من الأشراف ورجال الدين بسبب نفوذهم ، بينما أصحاب الطبقة

الثالثة يدفعون الضرائب، وهو ما ولد لديهم تذمر كبير من الوضع ففرنسا، كما أن السياسية الضريبية فشلت لأنها عجزت عن التحصيل، كما أن الدولة احتكرت بعض السلع فانعكس ذلك على عرقلة التجارة وشلت بعض القطاعات، رافق هذا تدهورا في الوضع الاقتصادي العام حيث ارتفعت الأسعار في السنوات الأخيرة التي تسبق الثورة بنسبة 65 %، بينما الأجر لم ترتفع إلا بنسبة 22 %، فضلاً عن تراجع المنتوج الزراعي، وتناقص مردود القمح، فعم القحط أنحاء فرنسا وحينما جاء ربيع عام 1789 أصبح رغيف الخبز عزيزاً وارتفع سعره ولم يعد الكثير في متناولهم. وكانت المعاهدة الاقتصادية مع بريطانيا قد زادت في حدة الأزمة مما سمح للأثرياء بتصدير القمح للأنجليز سعياً وراء الربح الوفير رغم حاجة الفرنسيين لقمحهم، لذلك طالب الرأي العام بإلغاء تلك المعاهدة مع بريطانيا فانتشرت المخاوف وعمت الفاقة وأصبح الخبز شيئاً نادراً وعم الاستياء المدن والأرياف، فتلبدت سماء فرنسا بغيوم الثورة.

تطور الثورة :

إن الأزمة الاقتصادية التي اجتاحت فرنسا لم تكن إلا تذكيراً للمسؤولين في باريس أن عليهم أن يجدوا حلاً جذرياً لفرنسا، وما محاولة تيرغو بإصلاح الوضع المالي إلا دلالة على أن حكام فرنسا استشعروا الخطر القادم كما أن محاولة الإصلاح المتأخرة التي أقدم عليها كالون المعروف بصلاته بالملك والباطن الديني .. ففرنسا يكمن في إصلاح أوضاعها المالية وإصلاح أوضاعها المالية لا يمكن إلا بجعل الفرنسيين يتساونون كلهم في تحمل مصاريف الدولة بغض النظر عن مرتباتهم الاجتماعية، وقد عقد مجلس أعيان يضم النبلاء والإكليلوس عرض فيه اقتراحاته، ووضع أمامهم ديون الخزينة المقدرة بـ 4 مليارات، وأنه لا سبييل لحل هذه المعضلة إلا بفرض ضريبة جديدة يدفعها جميع الفرنسيين، هذه التقرير المقترن من كالون أثار ضجة كبيرة وأصبح محل سخرية أحياناً وفي النهاية رفضوا اقتراحاته وطالبوه بإقالته 1787 وفي سنة 1788 دعي الوزير نيكوليت سلم وزارة المالية، وكانت ساعتها الأزمة قد استفحلت وانتشرت المخاوف وعم البؤس وكان عليه أن يسرع لإنقاذ فرنسا بتدابير مهما كانت الطرق والأساليب، وكان الوزير عالماً بداء فرنسا، فسارع بإبلاغ الملك أن فرنسا تقف على حافة الإفلاس، وأن الوضع إذا ما استمر هكذا فإنه سيقود إلى الانفجار، واقتصر نيكوليت على تعرض هذه المشكلة على كل الأمة الفرنسية بأن يعقد مجلس الطبقات، فالخزينة أصبحت بحاجة ماسة للمال، فأصبح الملك مجبراً على قبول الاقتراح فعهد لوزيره بوضع قانون انتخابي جديد جرت من خلاله انتخابات عامة في أرجاء المملكة، وكانت هذه الانتخابات مناسبة رفع الناس من خلالها مطالبهم فاجتمعت مطالب الفرنسيين على النقاط التالية :

- صيانة الحريات العامة ومنع التعدي عليها.

- القضاء على امتيازات القطاعية ومساواة الجميع أمام القانون

- إصلاح القضاء

- توزيع أعباء الضرائب على جميع المواطنين بالتساوي بغض النظر عن طبقتهم

الواضح من هذه المطالب أنها مطالب معتدلة لا تحمل في طياتها عداء للنظام الملكي أو رغبة في تغيير النظام السياسي ، بل إن هذه المطالب تترجم تردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الفرنسي ، بل ان الشعب الفرنسي من خلال هذه المطالب لا يزال يحافظ على ولائه للملكية وعلى حبه للملك .

عقد مجلس الطبقات في 5 ماي 1789 ضم أكثر من 1200 عضو في اجتماعه الأول ، ووقع خلاف حول طريقة التصويت ، فاعتراض زعماء الطبقة الثرية على هذه الطريقة وأصرّوا علىأخذ الأصوات بالاقتراع الفردي وليس على أساس الطبقات ، وكانوا يهدّون من وراء ذلك للحصول على أغلبية في المجلس ذلك أنهم يعرفون أن عدداً لا باس به من مندوبي النبلاء والإكليرicos كانوا ميالين للتتعامل مع الطبقة الثرية ، فأدرك الملك أبعاد هذا الاقتراع فرفضه وتمسّك بالتقاليد القديمة .

تمسّك الملك و مناصروه من النبلاء والإكليرicos بضرورة المحافظة على التقليد الأول لإبقاء امتيازاتهم في المجلس ، واعتبر ممثّلوا الطبقة الثالثة قضية التصويت على أساس أن لكل نائب صوت هي المدخل الحقيقي للإصلاح ، كما أن المطالب التي رفعها الشعب الفرنسي لم تلقى اهتماماً من الملك والحكومة ، وهذا يعني أن الملكية الفرنسية أرادت حل المشكلة المالية فقط ، فأصرّ ممثل الطبقة الثرية علىأخذ زمام المبادرة من السلطة والسير في تحقيق المطالب مهما كانت العقبات .

أمام تصلب الملك في موقفه تقدم أحد الرهبان (سياسي) وهو من أنصار المبادئ الحرة باقتراح يتضمن عقد اجتماع مندوبي الطبقات الثلاث في مجلس تشريعي يدعى الجمعية الوطنية ، وقد قبل هذا الاقتراح وبدأ المندوبيون يستعدون لوضع دستور جديد فأدرك الملك أن هذه الخطوة المقترحة قد تهدّد سلطة الملك ، فأمر بإخلاء القاعة من الحضور ، لكن لم يتفرق مندوبي الطبقة الثالثة ومؤيدوهم وانتقلوا من القاعة إلى ملعب للتنس حيث تعهدوا علىمواصلة الاجتماع إلى غاية إعطاء البلاد دستوراً ديمقراطياً ويعرف اتفاقهم هذا "قسم ملعب التنس" ، وبهذا تحول مجلس الطبقات إلى جمعية تشريعية تعمل على وضع دستور لفائدة فرنسا .

لم يكن الملك راضياً عما جرى لذلك دعا المجلس إلى اجتماع في 23 جوان 1789 عرض فيه المندوبيون خطتهم الإصلاحية ، وأبلغوا أن طريقة التصويت المعتمدة ستبقى القديمة وهنا عاود الخلاف وانسحب الملك من الاجتماع وتبعه أنصاره من النبلاء والإكليرicos وبقي مندوبي الطبقة الثالثة وحلفائهم في أماكنهم مما جعل أحد موظفي البلاط يأمرهم بإخلاء القاعة .

هذا الموقف جعل أحد الحاضرين يدعى (مربابو) يرد بعبارة شهيرة "نحن هنا بإرادة الشعب ولا نخرج إلا على رؤوس الحرب" ، أيدوه الجميع وبدأ أول انشقاق رسمي علني خلال الثورة الفرنسية ، وأمام إصرارهم على البقاء تراجع الملك عن طلبه ، وطلب من النبلاء والاكيليروس العودة إلى مقاعدهم في الجمعية ، غير أن الملك وحكومته استشعروا الخطر وأن الوضع في باريس قد ينفجر في أي لحظة. استدعت الحكومة فرقا من الجيش إلى قصر فرساي واتخذت تدابير مشددة لصيانة النظام العام وكانت آخر ورقة تخلت عن الملك هو انسحاب الوزير نيكر الذي استبدلته الملك بأحد أعوانه وزادت الأحوال سوءا وتأزما.

سقوط الباستيل¹

كانت تدابير الملك في باريس لها وقع سيء لدى أوساط الناس بعد زيادة الشائعات والمؤامرات خاصة بعد أن اتضح للشعب الفرنسي أن ماري أنطوانيت² هي القوة النافذة في فرنسا (زوجة الملك لويس 16)، مما جعل الشعب الفرنسي يستهجن ضعف شخصية الملك، ومما سمح المجال أيضاً لأفراد عائلة الملك الآخرين للتدخل في شؤون السياسة على غرار شقيق الملك الدوق داتو.

¹ حادثة اقتحام سجن الباستيل وقعت في باريس في الرابع عشر من تموز عام 1789 وكان السجن والحسن الذي يعود تاريخه إلى العصور الوسطى المعروف باسم "الباستيل" يمثل رمزاً للسلطة الحاكمة وسط باريس. وبالرغم من أنه لم يكن في السجن سوى سبعة أسرى وقت اقتحامه، إلا أن سقوطه كان بمثابة شرارة اندلاع الثورة الفرنسية، وأصبح فيما بعد رمزاً للجمهورية الفرنسية. ويُعتبر الرابع عشر من تموز، *Le quatorze juillet*، عطلة رسمية في فرنسا، ويُعرف باسم *Fête de la Fédération* أي عطلة الدولة الفيدرالية. ويُطلق عليه عادة اسم "يوم الباستيل".

² ماري أنطوانيت (1755 - 1793م). ملكة فرنسا التي أعدمت بالمقصلة خلال الثورة الفرنسية ، ولدت ماري بفيينا بالنمسا، وكانت الابنة الصغرى والمفضلة للإمبراطور فرانسيس الأول وماريا تيريزا حاكمي الإمبراطورية الرومانية المقدسة .

كانت الملكة الصغيرة جميلة وذكية ومتهورة ، وقد ملّت الشكليات الرسمية لحياة البلاط، لذا اتجهت إلى الترويج عن نفسها بالملذات، مثل: الحفلات الفاخرة والتمثيليات المسرحية وسباق الخيول والمقامرة. كان ينقص ماري التعليم الجيد ، ولم تكن تعطي الأمور الجادة إلا القليل من الاهتمام، ولم تتردد في عزل وزراء فرنسا القادرين الذين هددت جهودهم لخفض النفقات الملكية ملذاتها، وقد أعطاها الملك لويس السادس عشر قصر بتي تريانون، حيث كانت الملكة وأصدقاؤها يقومون بالترويج عن أنفسهم . أصبحت ماري مكرهـة جداً ، وقد تم تأنيبها على فساد البلاط الفرنسي، حيث كانت تصرف في إغراق الأموال على محسّيب البلاط ، ولم تعط أي اهتمام للأزمة المالية بفرنسا. وقد رویت القصص الكاذبة والسيئة عنها، إلى حد أن أثيرت الشائعات على أنها كانت جاسوسة لحساب النمسا. ومن هذه القصص قصة توضح أنماط المتغطّسين الذين التفوا حولها. يقال: إنها سألت ذات مرة مسؤولاً رسمياً عن سبب غضب الباريسيين، فكانت إجابته: ليس لديهم خبز ، فكان ردّها، إذن دعهم يأكلون عكاً .

لم يلبث أن انتقل الصراع الدائر في قمة السلطة إلى عموم الناس وأصبحت شوارع باريس عرضة للمظاهرات حيث شارك فيها العاطلون على العمل والعاجزون عن شراء القمح، وأصبحت الشوارع مسرحاً للخطباء والمهيجين وحتى الصحافة ساهمت في تعبئة الشارع وانتشرت الفوضى وسفكت بعض الدماء، هذه الوضعية جعلت الملك يستعين بالمرتزقة الألمان بمعية أفراد الجيش قصد البطش بالشارع الفرنسي، مما خلق جواً من عدم الثقة بل العداء للعرش والملك، فأقدمت بلدية باريس خلال هذه الفوضى بالسماح للمواطنين بأن يتسلحوا ويشكلوا مجموعات تساعد على حفظ النظام، فسعت الناس بكل الطرق للحصول على الأسلحة، فنهبت مخازن ومتاجر السلاح واندفع الناس نحو حصن الباستيل وحاصروه، ويعتبر هذا الحصن من أقدم الحصون الباريسية ويعتبر رمزاً للمساجين السياسيين ورسمت هالة من الأساطير حوله لكونه يعتبر رمزاً للمظالم والجرائم وأصبح في نظر الفرنسيين رمزاً للطغيان والعبودية.

كان ذلك في 14 جويلية 1789 ، استعمل قائد الحصن ديلوني الحكمـة مع هؤلاء ، إلا أن المهاجمين تسلقوا الجدران وسيطروا على مراقبـه وقتل المهاجمـون حرساً كثـيرـين ، وحملـوا رؤوس حـرـاسـ الحـصـنـ وـ طـافـواـ بهـمـ شـوـارـعـ بـارـيسـ مـعـلـينـ اـنتـصـارـ الـجـماـهـيرـ عـلـىـ رـمـزـ الـاسـتـعبـادـ . لقد أثرت هذه الأحداث على الوضع العام وأصبح النظام في باريس مفقوداً وتراجعت كل السلطات أمام الثورة وانتشرت حركـاتـ التـمرـدـ فيـ المـدنـ وـ الأـرـيـافـ ، وأـصـبـحـ مـكـاتـبـ الـضـرـائبـ وـ الدـوـائـرـ الرـسـميـةـ وـ مـالـهـ عـلـاقـةـ بـامـتـياـزـاتـ الأـشـرـافـ هـدـفـاـ لـالتـخـرـيبـ ، وـ لـمـ يـكـنـ الـأـمـرـفـيـ بـارـيسـ وـ حـدـهـاـ بـلـ اـنـتـقـلـ اـنـتـقـلـتـ الـأـحـدـاثـ إـلـىـ مـدـنـ أـخـرىـ ، وـ زـادـ الـوـضـعـ تـعـقـيدـاـ الشـائـعـاتـ وـ الـتـيـ تـزـعـمـ أـنـ النـبـلـاءـ وـ الأـشـرـافـ يـشـكـلـونـ عـصـابـاتـ لـلـقـضـاءـ عـلـىـ الـفـلـاحـينـ وـ إـحـرـاقـ بـيـوـتـهـمـ .

خلال هذه الأحداث بـرـزـ فيـ بـارـيسـ أحدـ أـشـهـرـ أـبطـالـ الـحـربـ الـأـهـلـيـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ الـمـدـعـوـ لـلـفـايـيـتـ ، وـ هوـ أـحـدـ أـبـنـاءـ طـبـقـةـ النـبـلـاءـ آـمـنـ بـالـحـرـيـةـ وـ الـدـيمـقـراـطـيـةـ وـ وضعـ نـفـسـهـ فيـ خـدـمـةـ اـسـتـقلـالـ أـمـرـيـكاـ وـ جـعـلـهـ الـأـمـرـيـكـيـوـنـ أـحـدـ أـبـطـالـهـمـ وـ بـعـدـ عـودـتـهـ إـلـىـ بـارـيسـ دـافـعـ فـيـ مـجـلـسـ الطـبـقـاتـ عـلـىـ حـقـوقـ الطـبـقـةـ الـعـاـمـلـةـ (ـالـثـالـثـةـ)ـ وـ عـنـدـمـاـ عـمـتـ الـفـوـضـىـ شـوـارـعـ بـارـيسـ وـ خـافـتـ الـبـرـجـواـزـيـةـ عـلـىـ مـمـتـلـكـاتـهـ وـ تـجـارـتـهـ ، تـشـكـلـ فـيـ بـارـيسـ جـهـازـ جـدـيدـ يـدـعـىـ "ـالـحـرـسـ الـأـهـلـيـ"ـ³ـ ، أـسـدـتـ رـئـاسـتـهـ إـلـىـ لـفـايـيـتـ ، تـشـكـلـ مـنـ 50ـ أـلـفـ فـردـ .ـ لـقـدـ تـقـبـلـ الـبـلـاطـ وـ النـبـلـاءـ عـلـىـ اـخـتـلـافـهـمـ هـذـاـ التـعـيـنـ بـالـارـتـيـاحـ لـكـونـ لـفـايـيـتـ رـجـلـ لـهـ سـمـعـةـ وـ مـكـانـةـ لـدـىـ مـخـتـلـفـ الطـبـقـاتـ ، وـ شـكـلـ فـيـ الـكـثـيرـ مـنـ الـمـرـاتـ جـسـراـ بـيـنـ الـمـلـكـ وـ مـطـالـبـ الـأـمـةـ ، كـمـاـ سـعـىـ إـلـىـ نـشـرـ دـسـتـورـ يـضـمـنـ

³ شكلـتـ الطـبـقـةـ الـوـسـطـيـ الـحـرـسـ الـوطـنـيـ ، وـ كانـ يـرـتـديـ قـبـعـاتـ عـلـيـهاـ أـشـرـطةـ بـثـلـاثـ أـلوـانـ:ـ الـأـزـرـقـ وـ الـأـبـيـضـ وـ الـأـحـمـرـ .ـ وـ هـذـهـ الـأـلوـانـ هـيـ نـتـيـجـةـ دـمـجـ أـشـرـطةـ بـلـدـيـةـ بـارـيسـ الـحـمـراءـ وـ الـزـرـقاءـ مـعـ أـشـرـطةـ الـمـلـكـ الـبـيـضـاءـ .ـ وـ أـصـبـحـتـ هـذـهـ أـشـرـطةـ وـ الـأـلوـانـ هـاـ الـثـلـاثـةـ رـمـزاًـ لـفـرـنـسـاـ نـفـسـهـاـ فـيـمـاـ بـعـدـ .

للشعب حرياته ويبقى للعرش سلطاته ، وبهذا أصبح الحرس الأهلي بزعامة لافاييت الضامن لاستقرار باريس وضواحيها وقدم خدمات جليلة للثورة .

إلغاء الامتيازات :

وقف الملك وحاشيته عاجزين عن رأب الصدع ، ولما تعقدت الأمور ، وجزم الملك بخروجه عن نطاقه وأصبحت بأيدي عوام باريس ، قرر تقديم مجموعة من التنازلات ، فأبعد الملك ببعضًا من وزرائه وأرجع العلم المثلث الألوان الذي رفعته الثورة ، وأرجع جاك نيكير إلى منصبه وأصبح نيكير شخصاً محبوباً لدى الفرنسيين لجرأته ونزااته ، لقد فعل الملك ذلك مرغماً وقرر التضحية ببعض ما اعتبر حقوقاً تاريخية لعرشه والموالين له ، مقابل صيانة ما تبقى من هذا العرش ، إلا أن هذا الموقف من الملك الذي يعتبر معتدلاً جاء متأخراً ، فشعر الجميع بأنه لا بد من القيام بإصلاحات جذرية لتهيئة الأحوال في الشارع وإرضاء الفلاحين الشائرين لذلك اجتمعت الجمعية الوطنية في 4 أوت 1789 للبحث عن وسائل كفيلة بإعادة النظام والقانون إلى شوارع فرنسا ، وأثناء الاجتماع أعلن أحد كبار النبلاء الفيكونت دي نواي أن السبب الحقيقي لما يحدث في فرنسا هو ضرورة إلغاء الامتيازات الإقطاعية قصد عودة الأمن إلى فرنسا ، وتم تأييد مطلبه من طرف عدد كبير من النبلاء والإكليلوس ، وأقرت بعد ذلك الجمعية الوطنية القوانين التالية :

- إلغاء حقوق النبلاء الإقطاعية وما يتبعها من امتيازات

- إلغاء الضرائب المفروضة على المطاحن والأفران .

- إلغاء امتيازات المقاطعات والجمعيات الحرفية والتجارية

- إصلاح القضاء ومساواة الجميع أمامه

- إعلان المساواة بين المواطنين في الحصول على الوظائف العامة

لاقت هذه القرارات استحساناً كبيراً لدى الفرنسيين وخاصة الفلاحين .

وفي 26 أوت أصدرت الجمعية الملكية حددت حقوق الإنسان والمواطنين على الدولة والأمة وأهم ما جاء فيها هو :

- الناس يولدون أحراضاً ويظلون أحراضاً متساوين في الحقوق .

- على الحكومات ضمان وحماية الحقوق الطبيعية للإنسان (الحرية، الملكية، حماية الأرواح، وحق رد المظالم)

- لا يسجن أحد أو يؤمر بحبسه إلا بأمر قضائي

- لكل أمة الحق في مشاركة أبنائها في وضع القوانين وتقرير الضرائب .

يعتبر هذا الإعلان بمثابة ميلاد عهد جديد ، حيث شارك في صياغة هذا البيان عباقرة الفكر الفرنسي أمثال جون جاك روسو ، ومونتيسينيكيو ، وتعتبر هذه الوثيقة مقدمة لإنجاز دستور فرنسا .

وفي 2 نوفمبر 1789 وبناء على اقتراح من الراهب تاليران ، أقرت الجمعية الوطنية مصادرة ممتلكات الكنيسة التي قدرت آنذاك بملياري ليرة رغم معارضته الإكليروس لهذا الاقتراح ، و الواقع أن الدافع الرئيسي وراء إصدار هذا التشريع كان الرغبة في الحصول على المال لحل الأزمة المالية الخانقة في فرنسا ، كما أصدرت الجمعية الوطنية في جوان 1790 دستوراً مدنياً ينظم حياة الإكليروس وبموجب هذا الدستور صارت تعين الأساقفة من حق الشعب وليس من حق الملك أو البابا وبالتالي صاروا ينتخبون من الشعب ويأخذون أجورهم من الدولة ، لكن الكثير من رجال الدين رفضوا .. وتآزرت العلاقات مع البابوية ، وبذلك ابتعدت العناصر المتدينة عن الثورة خاصة بعد أن أصدر قداسة البابا قرار الحرمان في حق كل من يقبل بهذا الدستور وكان أول من تأثر بهذا القرار البابوي الملك لويس السادس عشر لأنّه كان متديناً وشكل هذا القرار بالنسبة له زلزالاً كبيراً فقرر البحث عن المخرج له .

فرار الملك⁴ :

نتيجة هذه الظروف والأحداث التي شهدتها فرنسا حاول الملك أن يفرّ مع عائلته ، وقبلها فتح اتصالات سرية مع ملوك أوروبا نتيجة تطرف الثورة ، حيث أصبحت الأمور بأيدي المتطرفين لذلك حاول تنظيم عملية هروب العائلة المالكة خارج فرنسا .

خرج الملك وعائلته سراً في عربة مقلولة من باريس إلى الحدود البلجيكية في 21 جوان 1791 ، إلا أن أمرهم اكتشف في صبيحة اليوم الموالي وأعيدوا إلى العاصمة باريس ، ووضع الملك رهن

⁴ أقنعت ماري أنطوانيت أخيراً لويس بالفرار من باريس في 20 يونيو 1791 ، وقد خرجت العائلة الملكية متckرة في عربة متوجهة للحدود الشرقية لفرنسا ، ولكن أحد الوطنيين المتقطعين تعرف على الملك من صورته المطبوعة على العملة الورقية ، وتم إيقاف الملك والملكة في فاران وأعيداً تحت الحراسة إلى باريس . وأدى هروب لويس وماري إلى زيادة فقدان ثقة الشعب بهما ، ولكن لويس وعد بأن يقبل دستوراً جديداً أدى إلى الحد من سلطاته ، كانت ماري تعمل للحصول على المساعدة من الخارج ، وحينما بدأت الحرب مع النمسا وبروسيا في عام 1792م ، أثبتت أسراراً عسكرية إلى الأعداء . وارتتاب الشعب وأيقن أنها مذنبة بسبب تلك الخيانة . وفي 10 أغسطس 1792م زج الشعب بحكمه في السجن ، حيث أوقف الملك عن تولي أمور ملكه ، وبذلك انتهت الملكية . وقد أعدم لويس السادس عشر بالمفصلة في 21 يناير 1793م ، وقدمنت ماري أنطوانيت ، بعد معاناة مريرة وقاسية تحملتها بكل صبر وشجاعة ، إلى المحاكمة بتهمة الخيانة وأعدمت بالمفصلة .

الإقامة الجبرية، هذا التصرف يجعله يشعر أن النظام السياسي بات هشا ، وبقيت الأمور وشئون الحكم تسير من طرف الجمعية الوطنية التي حاولت أن تعيد الملك إلى عرشه مع تقدير سلطته لتجنب أزمة خلو العرش ، فأصدرت الجمعية قرارا بإبقاءه ، لكن لم يقبل المتطرفون هذا التصرف وأرادوا إزاحة الملك من السلطة ، فنظموا مظاهرات وهاجموا أعضاء الجمعية الوطنية ، ولإسكات غضب الجماهير أصدرت الجمعية قرارا بوقف الملك عن ممارسة سلطاته إلى غاية وضع دستور جديد .

هذا التصرف الحكيم اسكت الشارع مؤقتا وأوقف انفجار الوضع السياسي ، ولعب المهاجرون دورا في إطلاق الدعاية ضد الثورة ، آملين في جرم ملوك أوروبا للتدخل العسكري في فرنسا ، وبالموازاة أرسل لويس السادس عشر مندوبيين بصورة سرية إلى عروش أوروبا طلبا للمساعدة ، حتى أنه اقترح على العرش البريطاني التنازل عن جزء من المستعمرات الفرنسية مقابل المساعدة ، لم تعطي هذه المساعي أي نتيجة ، إلا أن وضعية الملك في حد ذاته أثارت حفيظة ملوك أوروبا ، فاجتمع في 21 أوت 1791 إمبراطور النمسا وملك بروسيا واصدرا بلاغا أعلنا فيه أنه من واجب ملوك أوروبا تعزيز سلطة الملك الفرنسي ، اشتهر هذا الإعلان "إعلان بلانتز"⁵ ، هذا الإعلان أضعف موقف لويس السادس عشر وجعله في إحراب وأصبحت تلوكه الألسن من طرف أنصار الثورة .

النوادي :

من أبرز ما ميز العمل في فترة الثورة ظهور عدد من النوادي تردد عليها زعماء الثورة وبعض المفكرين ، وقد لعبت دورا في تطور أحداث الثورة ، وكانت تشبه إلى حد ما منتديات سياسية ، أبرز هذه الأندية :

نادي الكوفدال : يوجد مقره في دير آباء الكونسيكان ، يمثل هذا النادي الطبقة الدنيا ، طالب أصحابه بإحلال نظام ديمقراطي ، وتعزيز العدالة الاجتماعية ورفع أجور العمال .

نادي اليعاقبة : اسمه الحقيقي جمعية أصدقاء الدستور ، نسب هذا النادي إلى دير الآباء اليعاقبة (يؤمنون بالثلثة لكن لا يتلفظون به) ، كان لهم موقف معتدل وطالبوا بالمحافظة على ما حققه الثورة ، مع الحفاظ على النظام الملكي الدستوري ، كان في هذا النادي صحيفة مشهورة "صدى الغال" presse de gall ، أصبح لهذا النادي نفوذ كبير وشيئا فشيئا بدأ هذا النادي يميل إلى المواقف المتطرفة

⁵ إعلان بلانتز : هو اتفاق مشترك بين إمبراطور النمسا وملك بروسيا للحرب ضد الثورة الفرنسية لإنقاذ الملكية.

نادي الجيرونديين : ينسب إلى رجال البرجوازية ، طالب أصحابه بحماية الملكية الفردية والحريات التجارية ، ولكن نتيجة تطرف الثورة ابتعد الجيرونديين عنهم ، وسعوا من وراء هذا النادي الحفاظ على مصالحه المهددة

شكلت هذه النوادي تجمعات في أشخاص جمعت بينهم وحدة المصالح والتفكير وتحولت النوادي إلى ما يشبه أحزاب

دستور 1791

اجتهدت الجمعية الوطنية في إثراء مقررات الدستور بتحقيق مطلب الثورة وهو إعطاء فرنسا دستوراً ديمقراطياً يكفل الحريات ويوزع السلطة ، أقرّ فعلاً هذا الدستور في 3 سبتمبر 1791 ، ووضع موضع التنفيذ ، وقعه الملك لويس السادس عشر ، وأقسم على احترامه ، ولعل أبرز ما فيه إعطاء الفرنسيين كل الحريات مع التأكيد على الديمقراطية ، فضلاً على أن الأمة هي المصدر الأساسي للسلطة ، تمارس بواسطة الهيئات المنتخبة .

لقد صار الملك بموجب هذا الدستور في خدمة الفرنسيين ، ليس سيداً لهم ، كما أكد على فصل السلطات ، وتبني هذا الدستور جميع مبادئ حقوق الإنسان .

نص هذا الدستور على تأسيس الجمعية التشريعية التي تضم 745 مندوب ، لقد شكل محتوى هذا الدستور هلعاً لدى ملوك ورؤساء أوروبا ، لأنه يتضمن مبادئ حول الملك من سيد إلى خادم للشعب بل قلص من صلاحياته .

نصبت حكومات عديدة في فرنسا حملت أسماء وأوصافاً أشهرها حكومة عهد الإرهاب وحكومة الإدارة ، ثم تم تجديد هذا الدستور الذي تحول إلى دستور 1795 ثم تولى بعد ذلك الإمبراطور بونابرت الحكم في فرنسا ابتداء من 1795 وضرب بيد من حديد مسترجعًا كل السلطات بقبضته يده وعاد نابليون بفرنسا إلى ما قبل الثورة نتيجة لتعسفه وبطشه وحول فرنسا إلى سجن كبير ، هذه الشخصية العسكرية القوية في فرنسا جعلت الشعب يندم على أيام الملكية الأولى .

بعدما أحكم نابليون قبضته على فرنسا قاد حملة إلى احتلال إيطاليا وأخضع الدولة البابوية في 1796 ، نتيجة هذه القوة أجبرت النمسا أن تعقد مع تحالفها ، فأخذ نابليون بليبيكا وضمهما إلى فرنسا مقابل أن تأخذ النمسا البندقية ، وأحدث هلعاً في أوروبا ، فبدأ ملوك أوروبا يخافون من طموحه في أن يضم أراضي جديدة لسلطته .

لم يكتفي بونابرت باحتلال الولايات البابوية ، بل أراد أن يوسع إمبراطوريته إلى خارج أوروبا ، فقرر احتلال مصر ببعث جيشه إلى الإسكندرية في 1798 ، واحتل الأرضي المصرية وأجزاء من بلاد الشام ، وكان يهدف من وراء ذلك إلى قطع الطريق أمام التمددات الانجليزية ، احتل

القاهرة والعريش ووضع يده على منافذ البحر الأحمر، تسارعت الأحداث بنا بليون، وتسع طموحة، فجعل كل ملوك أوربا تحالف ضده، وبقيت فرنسا تعيش أوضاعاً داخلية متعددة نتيجة قلة فرص العمل والميزانية الكبيرة التي خصصت لجيش فرنسا خارج أوربا، هكذا تحولت فرنسا من دولة مسلمة تدافع عن مبادئ إعلان حقوق الإنسان إلى دولة تزرع الرعب في عهد بونابرت وفي عهد حكومة القنصلية.

المؤتمرات

لقد أثرت أوضاع فرنسا على باقي الدول الأوروبية فخرجت أفكار الثورة الفرنسية خارج الحدود، وأصبحت الشعوب الأوروبية ترى في أفكار الحرية والعدالة وحقوق الإنسان أفكاراً جديرة بالتبني، لذلك أصبحت الأنظمة السياسية الأوروبية التي يغلب عليها النظام الملكي مهددة بالسقوط والزوال، لذلك خاف ملوك أوربا من أن صيب بلدانهم ما أصاب فرنسا، ولما أصبحت هذه الأفكار تشكل خطراً على الأنظمة الأوروبية سارعت تلك الدول إلى تشكيل حلف لمناهضة هذه الأفكار، بل إن أوضاع فرنسا حينما تغيرت وعاد الخوف والإرهاب إلى الفرنسيين بعد وصول نابليون بونابرت إلى الحكم أصبحت فرنسا في نظر أوروبا مصدراً للقلق والإزعاج، فلا الأفكار الداعية للحرية أعجبت ملوك فرنسا ولا طموحات نابليون التوسعية أعجبتهم، بل أصبحت فرنسا مصدر الخطر للملوك أوربا وتشكل حلفاً ضم الكثير من الدول الأوروبية للقضاء على طموحات نابليون، وبعد أن تجمعت دول أوربا وقامت على هيمنة بونابرت أرادت أن تخلق جواً من الوحدة من خلال ما اصطلح على تسميته بمعاهدات التفاهم أو المؤتمرات، ومن بين أهم تلك المؤتمرات⁶ :

⁶ فكرة المؤتمرات لم تنشأ إلا في تاريخ أوربا الحديث، فهي مرتبطة بالمجتمعات المنقسمة إلى وحدات سياسية مستقلة عن بعضها ومتاوية في نظر القانون، حينئذ يمكن أن يجتمع ممثلوها على قدم المساواة في مؤتمر لبحث المسائل التي تمسها. و هناك بعض الحقائق عن هذه المؤتمرات لفت إليها النظر على وجه الخصوص المؤرخ وبستر Webster في كتابه الذي خصصه لمؤتمر فيينا ، قال : " إن الناس لديهم صورة غير صحيحة عن تلك المؤتمرات الكبيرة بما فيها مؤتمر فيينا ، فهم يتوهمون أن مندوبي الدول يجتمعون اجتماعات منظمة متواالية و تعرض مسائل البحث و الخلاف و نقاش و يدلي كل فريق بحجه و تؤخذ القرارات نتيجة البحث ، و يغلب رأي الأغلبية " و قال " إن هذا مجرد وهم فالمؤتمرات لا تجتمع بكل ملوك هياتها إلا في أول المؤتمر و في نهايته .. و لا يجتمع المؤتمر بكامل هياته إلا عند إقرار النتائج و يكون الرأي فيها لبعض الدول التي لها نفوذ و أهمية فقط بحكم أنها منتصرة في الحرب التي سبقت عقد المؤتمر ، أو بحكم أهميتها السياسية و الحربية ، فالدول التي من هذا النوع بواسطة مندوبيها تعمل كل شيء ، فإذا وصلت إلى نتيجة يجمعون كل المندوبين الصغار و الكبار للتوقيع على ما انفق عليه " . انظر : شوقي الجمل ، عبد الله عبد الرازق ، تاريخ أوربا ، ص 158

مؤتمربينا 09 جوان 1815 :

اجتمعت الدول الكبرى بروسيا انجلترا والنمسا في اجتماعات سرية وهمشت فرنسا من حضور هذا الاجتماع ، لكن تراجعت تلك الدول وقبلوا حضور فرنسا⁷ وكان من بين قراراته :

- القضاء على الأنظمة الثورية في أوروبا
- السعي إلى تقوية العروش الملكية وإعادة أصحابها إلى سلطتهم.
- العمل على إضعاف فرنسا سياسياً وعسكرياً

اعتبر هذا المؤتمر نتيجة غير مباشرة للثورة الفرنسية وللحروب المروعة التي شهدتها أوروبا . إن مؤتمربينا حاول إعادة رسم الخارطة الأوروبية بأن نزع الكثير من الأراضي التي أخذتها فرنسا وأعادها إلى الدول الأصلية .

كما سعى هذا المؤتمر إلى تحقيق مبدأ التوازن الدولي (محاولة جعل الدول في نفس المستوى) ، إن الدول المشاركة في هذا المؤتمرأت أن أمن أوروبا يقتضي تشجيع القوميات والابتعاد عن الصراعات الحدودية .

وقد اعتبر مؤتمربينا أكبر مؤتمر شهدته أوروبا في الفترة الحديثة ، كما نظم حدود الملاحة البحرية التي ما فتئت تشكل سبباً رئيسياً في إحداث التوترات بين الدول الأوروبية .

ومن الأشياء التي دافع عنها مؤتمربينا هو إلغاء ما يعرف بتجارة الرق التي اعتبرت انتهاكاً صارخاً للإنسانية وحقوقها ، كما أعاد السيطرة في بعض المناطق وجعلها تحت النفوذ الإيطالي مثل مملكة نابولي وسردينيا واسترجاع إقليم سكسونيا إلى بروسيا ، وبذلك تم رسم الحدود الأوروبية ومجالات نفوذ تلك الدول .

⁷ بعض المؤرخين - الفرنسيين بالذات - و على رأسهم ألبرت سوريل Albert Sorel يقولون إن تاليران (و هو مثل فرنسا في مؤتمر فيينا) ، لم ينتصر في فتح الأبواب التي كانت موصدة فحسب بل نجح في أن يكون له صوت في تسوية 1815 لا يقل عن صوت أي دولة أخرى .. فقد كان محكوماً عليه بـلا يدخل المؤتمر ، لكنه لم يتغلب على العزلة المفروضة على فرنسا فحسب بل شارك مشاركة فعلية في تسوية شؤون أوروبا في عام 1815 . وقد يكون هذا صحيحاً لكن ليس إلى الحد الذي يدعيه سوريل . و الحقيقة أن تاليران نجح في تحطيم الحاجز المفروض على فرنسا و يرجع ذلك إلى : مواهبه الشخصية العظيمة ، و شخصيته الجذابة و كذا الخطة التي رسمها لفرنسا في فيينا حيث لم ينصب نفسه مدافعاً عن فرنسا بالذات بل مدافعاً عن القانون الدولي و السلام الأوروبي و وجوب وضع العلاقات الدولية على أساس ثابتة من المعاهدات ، و كان لهذا تأثيره في محو صورة فرنسا المعتدية و المنهزمة من أذهان المجتمعين في فيينا . انظر : المرجع السابق ص 163 ، 164

لم يكن مؤتمر فيينا كافيا بكل مقرراته بأن يعيد لأوربا هدوئها واستقرارها ، فقد عقدت مؤتمرات أخرى لا تقل أهمية عن فيينا ومن تلك المؤتمرات :

مؤتمراكس لا شابيل : سبتمبر 1818

عقد هذا المؤتمر للنظر فيما تبقى من موضوع فرنسا ، حيث طالبت فرنسا بجلاء قوات الحلفاء عن أراضيها ، وقد حضرته كل من النمسا ، روسيا ، بروسيا ، إنجلترا وفرنسا

مؤتمرتروبياو : جوان 1820

عقد لدراسة الثورة العسكرية الإسبانية ، ذلك أن ملوك أوروبا راودتهم مخاوف انفلات الأوضاع في أوروبا ، وانتقال عدو الثورة من إسبانيا إلى الدول الأوروبية الأخرى ، وكان أكثر المتحمسين له قيصر روسيا .

مؤتمريليباخ⁸ : 1821

تأجل مؤتمرتروبياو دون الوصول إلى قرار بشأن بعض القضايا العالقة في أوروبا أبرزها المسألة الإيطالية ، اجتمع المؤتمرون في يناير 1821 وحضره بالإضافة إلى الدول الكبرى ملك نابولي ، تواصلت اشغاله متقطعة إلى غاية 12 مارس 1821 ، قرر هذا المؤتمر إلغاء دستور نابولي ، وكلفت النمسا بتنفيذ هذا الإلغاء بالقوة العسكرية ، تزامن هذا المؤتمر مع حدوث ثورة في اليونان ضد الحكم العثماني .

مؤتمرفيرونا⁹ : 1822

عقد منتصف أكتوبر 1821 ، حضره إمبراطور النمسا وقيصر روسيا وملوك بروسيا وسردينيا ونابولي ، وبعض السياسيين على رأسهم مترنيخ ومثل فرنسا وزير خارجيتها وإنجلترا شقيق كاسلا للورد ستيفوارت .

عالج هذا المؤتمر مسائل إسبانيا وإيطاليا واستغرقت المسألة الإسبانية معظم وقت المندوبين ، وتركت المسألة الإيطالية دون حل حاسم .

⁸ ليماخ : مدينة بيوغوسلافيا عقد فيها مؤتمر ليماخ لدول التحالف الرباعي ، وفيه ظهر الخلاف واضحًا بين بريطانيا وحليفاتها السابقات : فرنسا ، وروسيا ، والنمسا . وافق المؤتمر على قمع الفتنة التي اندلعت في نابولي 1820 على أيدي قوات النمسا .

⁹ مؤتمر فيرونا هو لقاء عقد في فيرونا بإيطاليا سنة 1822 ، آخر المؤتمرات الأوروبية التي انعقدت بمقتضى أحكام التحالف الرباعي . 1814 درس المؤتمر الثورة التي نشبت بإسبانيا ، وقرر إرسال جيش فرنسي لقمعها .

الوحدة الألمانية

ألمانيا قبل القرن 19 م

اعتبر ملوك الإمارات الألمانية أكثر الملوك ضعفاً إلى درجة أنهم أصبحوا عاجزين عن الدفاع عن البلاد وحمايتها من مختلف الغزوات الأوروبية.

إن أحفاد شارلمان عجزوا عن الدفاع عن الحدود الألمانية، ووصل بهم الضعف والهوان أن اقتطعوا أجزاء من أراضيهم ويعنونها للبرابرة النورمانديين مقابل الدفاع عنهم وقت الحاجة، فتشتت ألمانيا وظهر بها زهاء 400 دولة وإمارة مستقلة، لكل إمارة علم وحكومة وجيش، يسودها الفرقة والحروب، رغم أنها تشتراك في وحدة الجنس واللغة والثقافة والتاريخ، وكانت إمارة بروسيا أكبر الإمارات الألمانية وأهمها، وسيقدر لها لاحقاً أن تحمل لواء الوحدة وتسيير ألمانيا لتصبح أكبر قوة أوروبية

غزو نابليون لألمانيا :

نتيجة ضعف الإمارات الألمانية، سمح لحاكم فرنسا أن يرى فيها نفوذه ، فغزا نابليون ألمانيا عام 1805، وقضى على الإمبراطورية الرومانية المقدسة التي أنشأها شارلمان، وأدمج معظم ولاياتها المتفرقة حتى لم يبق منها سوى تسع وثلاثين إمارة، وكون ((اتحاد الراين)) من الولايات الشمالية الغربية ليقف في وجه النمسا، وبروسيا، وزوده بحكومة صالحة لتسهر على مصالح الشعب، وترك الولايات الألمانية مزيداً من الحرية في شؤونها الداخلية، واحتفظ لنفسه بالسيطرة على علاقاتها الخارجية، واهتم بتقوية جيوشها لتقف معه في حروبه الأوروبية. وقد قرر ساسة أوروبا في مؤتمر فيينا إنشاء اتحاد ألماني صوري من الإمارات التي تضمنها الإمبراطورية المقدسة قبل إلغائها .

ومن أهم ما نص عليه دستور الاتحاد:

1. يتتألف هذا الاتحاد من تسع وثلاثين إمارة، بما فيها النمسا، ولا يجوز حله.
2. يتشكل لهذا الاتحاد مجلس، يعرف باسم ((الدایت)) : يكون مقره مدينة فرانكفورت، ويتألف من مجلس أعلى من سبعة عشر عضواً، ومجلس أدنى يتكون من تسعين عضواً، بعضهم يمثلون بصفة جماعية بعض الولايات المهمة كالنمسا، وبروسيا، وبافاريا.
3. ترأس النمسا هذا الاتحاد، وله الحق في دراسة الأمور العامة الألمانية، وضع القوانين، ولا تنفذ تعليماته إلا إذا صدرت بأغلبية الثلثين.

4. يكون لحكومة هذا الإتحاد سفراء في الخارج، و يحق لها إعلان الحرب و السلم، وإبرام المعاهدات، وهي المسئولة عن الدفاع عن ألمانيا.

5. يمكن إعلان الحرب بين الإمارات التي هي أعضاء في الإتحاد.

ظهور الوعي القومي الألماني :

لقد كان لسيطرة نابليون على ألمانيا، وقرارات مؤتمر فيينا فيما يخصها، بعد سقوطه، تأثير كبير على مجريات الأحداث والأوضاع في مستقبل ألمانيا. ومن أجل كل ذلك قاوم الألمان بزعامة بروسيا، سيطرة نابليون على بلادهم، واستماتوا في مقاومة حتى هزموه وخربوا النفوذ الفرنسي من بلادهم، وبرزت بينهم رغبة ملحة لإقامة حكومة ألمانية موحدة، وتصدى مجموعة من المصلحين، والكتاب والشعراء، والمفكرين، وال فلاسفة، للدفاع عن تلك الرغبة والأمنية، أمثال: فون شتاين، ويوهنا هردر، و كانط، وفيخته، دعوا كلهم إلى ضرورة توحيد ألمانيا، وعارضوا سيطرة نابليون على بلادهم. وبعد مؤتمر فيينا، قام الشباب الألمان، وخلال الجامعات بتأسيس جمعيات ونواب رياضية وأدبية، للدفاع عن الوحدة، واغتنموا ذكرى مرور ثلاثة عشر عام على حركة لوثر الدينية الإصلاحية، وذكرى هزيمة نابليون في معركة الأمم عام 1813 فأقاموا مهرجانات واحتفالات وتظاهرات عام 1817 م، أبرزوا فيها رغبتهم في تحقيق وحدة ألمانيا القومية، وقاموا بقتل بعض الخونة لها. فاغتنم مترنيخ هذه الحوادث وفرض الرقابة على الصحافة والمطبوعات، ومنع انتقاد الحكومة، وعين ضباط في الجامعات لمراقبة نشاط الطلاب والشباب، ومنع إعادة الطلبة، والأساتذة المقصولين إليها، وأعتقد مترنيخ أنه بهذه الإجراءات الصارمة سيُضيع حداً لنمو الوعي القومي في ألمانيا، ونشاط شبابها، لكن النتيجة جاءت عكس ذلك، إذ تحولت هذه المنظمات إلى هيئات وجمعيات سرية مارست نشاطها في الخفاء، وجدبت إليها قلوب الأحرار الألمان.

جهود بروسيا في نشأة الوحدة :

تعتبر بروسيا أهم الإمارات الألمانية من حيث السكان والمساحة والقوة ، وفي الأصل هي إمارة صغيرة تتمثل في دوقية برادنبور، التي حكمتها أسرة هوهنزولون ، ثم تحولت عام 1701 إلى مملكة وبرز فيها مصلحون عملوا على تقويتها ، مثل فريديريك ولهلم الأول ، وفريديريك ولهلم الثاني ، اشتراك في محاربة نابليون مع الحلفاء سنة 1813 ، وبعد مؤتمر فيينا وسعت حدودها إلى نهر الراين وأصبحت مسؤولة عن الدفاع عن حدود ألمانيا الغربية، اهتمت بروسيا بالإصلاحات الإدارية والاقتصادية والعسكرية فعملت على :

- إنشاء جيش مسلح ومنظماً ومدرب وأنشئت المصانع الحربية

- أصدرت مرسوم 9 أكتوبر 1807 لتحرير الأقنان وتوزيع الثروات عليهم، فاستفادت 30 ألف عائلة من هذا القانون ، واعتبر ثورة في عالم الزراعة .

- فرضت الحكومة إجبارية التعليم ونشره بين جميع أفراد الشعب وأسست المدارس والمعاهد .

- أنشأت نظام الزولفرين الجمركي ، حيث استعانت بروسيا بمجموعة من الخبراء الاقتصاديين قصد توحيد نظامها الضريبي والجمركي ، واصدر هؤلاء الخبراء عام 1918 نظام يدعى الزولفرين يحتوي على ما يلي :

- وضع تعريفة جمركية بسيطة على الآلات والمصنوعات ، وتعريفة جمركية عالية على البضائع المستوردة من الخارج خاصة الكمالية منها .
- اعتبار المناطق الجمركية في بروسيا منطقة جمركية واحدة .
- إعفاء المواد الأولية المستوردة إليها من الرسوم الجمركية .

أدى نجاح هذا النظام الجمركي إلى إسراع الولايات الألمانية الانخراط فيه ، وكان ذلك خطوة أولى لتحقيق الوحدة السياسية وكسبت من وراء ذلك بروسيازعامة الاقتصاد ، التي ستتحول إلى زعامة سياسية وعسكرية .

سياسة بسمارك¹⁰ في الوحدة :

¹⁰ بسمارك، أوتو فون (1815 م - 1898م) رجل دولة بروسي، وحد الولايات الألمانية في إمبراطورية واحدة . نشأته: ولد بسمارك في الأول من إبريل في شونهاوزن، في مقاطعة ماجديبورج. درس القانون، ومارس المحاماة سنة 1835م. أصبح يهتم بشؤون الأبرشية، بعد أن خدم في الجيش، وكان قد انتخب للدایت (البرلمان) البروسي سنة 1847م. أعد بسمارك خططاً مستقبل الإمبراطورية الألمانية خلال دورته ممثلاً لبروسيا في المجلس التشريعي الألماني في فرانكفورت من 1851م إلى 1859م. مثل بلاده في روسيا أولاً وبعدها في فرنسا. استُدعي إلى بروسيا في 1862م، ليصبح رئيساً للوزراء ووزيراً للشؤون الخارجية. حروب بسمارك خاض بسمارك ثلاثة حروب لتوحيد الولايات الألمانية . توّج ملك بروسيا ولهلم الأول إمبراطوراً على ألمانيا بعد أن دحرت بروسيا نابليون الثالث. أصبح بسمارك مستشاراً للرايخ الثاني للإمبراطورية الألمانية الجديدة. وكان يدعى المستشار الحديد.

دبلوماسية بسمارك بُني نجاح بسمارك في تحقيق الوحدة الألمانية والسيادة الوطنية، على القسوة والسياسة العسكرية الصارمة والحكمة السياسية الاستثنائية ، وبراعة التنفيذ، والمهارة الدبلوماسية الصلدة. كرس بسمارك عبقريته في عقد المعاهدات التي تحصن وضع ألمانيا في أوروبا.

عقد الحلف الثلاثي مع النمسا وهنغاريا (المجر) وإيطاليا والذي استمر حتى الحرب العالمية الأولى. رأى أن وضع ألمانيا في أوروبا يمكن أن يتعرض للخطر، فعقد اتفاقية مع روسيا تضمنت حياد ألمانيا في حالة أي هجوم على روسيا. عَدَّ بسمارك السلام مع روسيا حجر الزاوية في سياساته، لأنَّه يمنع ألمانيا من خوض حرب على جبهتين.

إثر ثورات 1848 في أوروبا ، اشتد حماس الألمان في بروسيا من أجل تحقيق الوحدة ، فاجتمع في مدينة فرانكفورت جماعة من الأحرار الألمان ، ووضعوا مسودة دستور اتحاد جديد ، وقرروا جعل السلطة التشريعية في يد مجلسين قصد المحاسبة ولرراقبة ، يضم الأول الحكومات ، والثاني ممثل الشعب الألماني .

وفي مارس من نفس السنة قررت جمعية الأحرار الألمان انتخاب فريدرريك وليام الرابع ملك بروسيا إمبراطورا على ألمانيا ورئيسا للحكومة الاتحادية ، ولكن فريدرريك رفض التاج خوفا من بطش النمسا وبعض الأمراء الألمان المعارضين ، وبقيت الأوضاع هكذا حتى وفاته ، فخلفه وليام الأول الذي كان يكن لها كرهها صريحا ، فصمم على منهاضتها ولو باستخدام القوة ضدها ، فاستعان برئيس وزرائه بسمارك الذي قاد ألمانيا نحو الوحدة .

ولدت هذه الشخصية عام 1815 ، تعلم في جامعة برلين ، اشتغل موظفا في الحكومة ، ثم انتخب عضوا في الولاية (المجلس) ثم عضو في برلمان برلين .

وشغل منصب مندوب الملك في مجلس الدایت ، سفيرا لبروسيا في باريس ، مكتنته هذه الوظائف من اكتساب خبرة ودبلوماسية كبيرة وصمم على تحقيق وحدة ألمانيا متبعة الخطوات التالية :

- الاهتمام بالجيش وتطويره والتدريب والتسلیح ، باعتباره الأداة الأساسية لتحقيق الوحدة الألمانية وهو حامي الحدود .
- إبعاد النمسا ، عن كل إشكال التدخل في الشأن الألماني ، وإجبارها بكل الطرق للتخلص من عدائها لمساعي الوحدة .
- القضاء على التدخل الأجنبي في شؤون ألمانيا الداخلية خاصة من طرف فرنسا .
- ضرورة إتحاد كل الإمارات والدوليات تحت التاج البروسي وبزعامتها .

ومن أجل استكمال الوحدة لألمانيا خاض زعيمها ثلاثة حروب مع جيرانها حول المشاكل الحدودية وقصد استرجاع بعض الأراضي герمانية وهي :

1 - الحرب مع الدنمارك 1864 : كان السبب في هذه الحرب إثارة مشكلة دوقية شولزويج وهولشتاين الألمانيتين اللتان كانتا تحت الحكم الدنماركي منذ 1815 ، وقد أرغمت

2 - الحرب مع النمسا 1866 حرب الأسابيع السبعة: كان يهدف بسمارك من وراء حروبه ضد النمسا ، هو أن يقوم بعزلها دوليا ، ومن ثم القضاء على نفوذها المتغلغل داخل ألمانيا ، لكي يرغمهَا في النهاية على قبول وحدة ألمانيا ، فاستكمَل بسمارك استعداداته العسكرية بعد صلح شلزويج ، واستتمَال إليه نابليون الثالث (1862 – 1871) وإمارة بيدمونت أهم مناطق إيطاليا ، وبروسيا القيصرية ، ثم دخل معها في حرب انتصر فيها انتصارا عظيما في معركة تسمى (سادو) في 02 جوان 1866 وضم عدة مقاطعات كهانوفر وبعض أجزاء بافاريا وشلزويج ، ومدينة فرانكفورت وأرغمهَا على توقيع صلح (براك) في 1866 التزمت فيه بما يلى

١. حل الاتحاد الألماني السابق

2. الاعتراف بإنشاء الاتحاد الألماني بضم كل الولايات الواقعة شمال نهر مين بزعامة بروسيا

3. التنازل لإيطاليا عن مدينة البندقية.

وكان من نتيجة هذا الصلح انضم 4 ملايين من السكان إليها وتحول ميزان القوى في وسط أوروبا لصالحها خاصة بعد أن انضمت ولايات الجنوب إلى اتحاد الزولفريين

3 - الحرب مع فرنسا : 1870

بعد أن تغلب بسمارك على الدنمارك والنمسا، لم تبقى عقبة في وجهه سوى فرنسا التي تتاخمه من الجنوب الغربي، والتي لا تزال تحتل أراضي ألمانية مقاطعتي الألزاس واللورين، كما رأت فرنسا في طموح بسمارك خطراً يهدد قوتها، ورأت فرنسا في النمسا أنها قوة لن تُقهر، واعتبرت معركة سادو نكبة كبيرة عليها، ورأت وجوب استعمال كل الوسائل لمنع اتحاد ألمانيا، لذلك صمم بسمارك على محاربتها، وكانت أزمة خلو العرش الأسباني سبباً لإشعال فتيل الحرب ونتيجة هذه الأزمة استفزت العائلة المالكة الفرنسية، فأعلنت فرنسا الحرب على بروسيا يوم 19 جويلية 1870، وهو ما كان ينتظره بسمارك، وكان جيشه مدرياً ومنظماً عكس الجيش الفرنسي، وقاده بطل معركة سادو (فون مولتكى) فتقدم بسرعة نحو الأراضي الفرنسية، وألحق هزائم بالجيش الفرنسي في موقع سيدان فاستسلم الإمبراطور نابليون ومائة ألف من جيشه يوم 2 سبتمبر، وأدى ذلك إلى انفجار برkan الثورة الفرنسية،

و نتيجة هذه الهزيمة أعلن النظام الجمهوري في فرنسا بعد يومين فقط من موقعه سيدان ، وأرغمت فرنسا على توقيع صلح فرانكفورت في 10 ماي نص على :

- احتلال جيش بروسيا لبعض الأراضي الفرنسية حتى تدفع الغرامات - مليون فرنك فرنسي
- أن تستولي ألمانيا على الألزاس واللورين و ميتزو سترايسبورغ
- تحمل فرنسا مسؤولية الحرب

إتمام الوحدة : بعد هذه الانتصارات الساحقة التي حققها بسمارك ضد الدنمارك والنمسا وفرنسا ، فاوض ولايات الجنوب في قضية الوحدة ، وتمت الموافقة على إنشاء الاتحاد الألماني ، وتوج الملك ولهم إمبراطوراً لألمانيا مطلع عام 1871 ، بحضور ملوك وأمراء ألمانيا ، وأعلن دستور جديد ينظم شؤون الإتحاد ، وبذلك حققت ألمانيا وحدتها القومية .

باختصار الوحدة الألمانية : عرفت بروسيا تطورات اقتصادية هامة خاصة في المجال الصناعي، لكن التجربة السياسية تحد من ذلك التطور، فأصبح هدف البرجوازية هو تحقيق الوحدة السياسية. وفي 1862 تولى بسمارك منصب الوزير الأول "المستشارية" واعتمد على قوة بروسيا العسكرية وعلى نضج الوعي القومي الألماني. وتمكن من تحقيق الوحدة الألمانية بالقضاء على الهيمنة الأجنبية حيث حارب الدنمارك وانتصر في 1864، كما انتصر على النمسا في معركة سادوا 1866 sedan 1870 Sadowa ، وهزم فرنسا في معركة سدان 1870 sedan 1870 وسيطر على الألزاس واللورين. وعرفت سياساته بسياسة الحديد والدم. وانضمت الإمارات الألمانية الأخرى إلى الإتحاد الألماني بزعامة بروسيا، والذي أصبح يعرف بالإمبراطورية الألمانية بعد تتويج غليوم الأول إمبراطوراً على ألمانيا.

الوحدة القومية الايطالية

أوضاع ايطاليا قبل الوحدة

كانت ايطاليا اواخر القرن 18 م وبداية القرن 19 م مقسمة إلى دویلات و إمارات على الشكل التالي :

- إمارة لومبارديا والبندقية تخضعان لحكم النمس المباشر.

- مملكة نابولي وصقلية خاضعتان لملك من أسرة البوربون الفرنسية¹¹

- مملكة بيدمونت وهي الوحيدة التي كان يحكمها أمير ايطالي

- الولايات البابوية في الوسط يحكمها البابا ذاته

ظهور الوعي القومي الايطالي :

نهاية القرن 18 م غزى نابليون ايطاليا 1796 فأخضع معظم ولاياتها لسلطته، وعمل على تغيير العديد من نظمها كالقطاع وسلطة رجال الدين الفاسدة ، فوحد الإدارة في البلاد وزود الايطاليين بحكومة تسهر على مصالحهم ، غير أن نابليون سرعان ما حكم الأموريدي من حديد وتحول إلى مستعمر. أمام هذه الظروف شعر الايطاليون بعمق التعسف والاستبداد ، وكان هذا سبب محفزا لهم لبعث الروح الوطنية فيهم ، فاندفعوا نحو التنظيم والعمل على الثورة والتحرر فأنشأوا الجمعيات السرية والنادي للنضال والكافح لتوحيد ايطاليا وطر الأجنبي ، ومن تلك الجمعيات جمعية ايطاليا الفتاة .

حركات الوحدة

ظهرت بإيطاليا عدة محاولات وحركات سعت بأساليبها المتعددة لتحقيق وحدة الإمارات الايطالية أهمها :

1- حركة الاتحاديين في الولايات البابوية : هي حركة إصلاحية ترمي إلى توحيد ايطاليا بزعامة البابا بيوس الذي نشط ما بين 1827 – 1878 ، وسعى للتوفيق بين مبادئ الكنيسة

¹¹ أسرة بوربون Bourbon أسرة حكمت فرنسا . بُرِزَ منها نحو سبعين حاكماً، منهم من حمل لقب دوق مضافاً إليه اسم المقاطعة (أو القطاع) وآخرون حملوا الناج الملكي في العصور الحديثة. ظهرت هذه الأسرة في أوائل القرن العاشر الميلادي، وما زال بعض فروعها باقياً إلى اليوم. حكم بعضها خارج فرنسا كما في إسبانيا وبارما وصقلية (مملكة نابولي وصقلية معاً). وذلك عن طريق المصاهرة بين الأسر الحاكمة في أوروبا الكبير. انظر : موسوعة المعرفة

وأحلام الإيطاليين القومية، فأطلق سراح المعتقلين وساوى بين القساوسة والأهالي في دفع الضرائب ووافق على إنشاء مجلس استشاري من غير رجال الدين. كان عمله هذا محفزاً البعض أمراء إيطاليا الآخرين الذين قلدوه في أعمالهم، غير أن حركة الإصلاحين هذه لم يكتب لها النجاح، وأصيّبت بالفشل لكونها تعمل على إبراز المشكّل الحقيقى لإيطاليا وهو احتلال النمسا للأراضي الإيطالية.

2 - حركة الجمهوريين : هي حركة قادها مازيني (1805 - 1872)، ويعتبر أحد رواد الحركة القومية في إيطاليا، كان عضواً بارزاً في جمعية إيطاليا الفتاة، واشترط من أعضائها أن يكونوا من الشباب دون الأربعين، وحثّهم على العمل والنضال والهبة حماسهم وعمق في نفوسهم كره الأجنبي خاصّة النمسا، وكان يشجّعهم على حركة التحرير والوحدة، ودعى إلى إنشاء نظام جمهوري بديلاً للنظام الملكي الفاسد.

اعتمد في حركته على حرب العصابات لكنه أخطأ حينما تسرّع في إعلان الحرب قبل أن يستكمل استعداداته، ولهذا لم يصادفه النجاح واضطر إلى الهجرة نحو إنجلترا بعدة سنوات بعدما حرك المزاعم والمشاعر وبعد ما وضع عقيدة ثورية للإيطاليين، وبعد اندلاع لهيب ثورات 1848 التي عمّت الولايات الإيطالية والأراضي النمساوية، وأعلنت البندقية محاولة الانفصال عن النمسا، ونتيجةً لهذا اغتنم مازيني هذه الظروف وعاد لإيطاليا وتعاون معه الشائر غاريبالدي في روما بعد أن سيطر عليها، وفر منها البابا وتبعه إمارات أخرى، فأعلنت النظام الجمهوري ولكن أنصار مازيني سرعان ما انقسموا على أنفسهم ودبّت الفرقة والشقاق بين صفوفهم، وحتى الرأي العام الإيطالي انقسم على نفسه بين مؤيد لهذه الحركة ومعارض نتيجة العنف والقوة التي اتبّعها أنصار هذه الحركة، واستغلت النمسا هذا التصدع، وأمرت جيوشها بالقضاء على هذه الحركة، وقتل مازيني في إحدى المعارك، ودخلت فرنسا على الخط، وشجّعت الباب السابع والحكم الملكي الرجعي للعودة للسلطة في إيطاليا.

3 - حركة التحرير والوحدة البيدمونتية : لم يترك فشل مازيني تأثيراً كبيراً في نفوس الإيطاليين، فلم يستكينوا للهزيمة، وطلعوا إلى إمارة بيدمونت وعقدوا عليها الآمال، لتحقيق الوحدة، وكانت كل الظروف مواتيةً لتصبح بيدمونت نواة الوحدة الإيطالية، فقد كانت هذه الإمارة تملك جيشاً منظماً قوياً، ولها دستور متّحراً يقوم على مبادئ تخدم كل الإيطاليين، بل ظهرت بهذه الإمارة أيضاً شخصيةً سياسيةً مهمةً، شهد لها بالقدرة والكفاءة وهي شخصية كافور الذي لعب دوراً كبيراً في تأسيس قاعدة الوحدة.

أعمال كافور في الوحدة

نشأ كافور في بيدمونت، وولد بها وفي سنّ الشباب عمل ضابطاً في الجيش في سلاح المدفعية، لم تمنعه هذه المهنة من مزاولة أعمال الزراعة. كان مولعاً بالسفر حيث انتقل إلى بلدان عديدة في أوروبا، اهتم بدراسة العلوم الاقتصادية والسياسية، أسس في بيدمونت جريدة البعث

المدافعة عن أفكاره وتقديمها للجمهور، عين وزيرالللمالية من طرف الملك فيكتور سنة 1850 ، ثم اختاره الملك رئيسا للوزارة عام 1852 ، ومن خلال موقعه ركز كل جهوده لتحقيق وحدة ايطاليا متبعا الخطوات التالية :

- طور كافور الصناعة والزراعة وفتح أسواقا جديدة ، وفرض الضرائب على ممتلكات الكنيسة والأديرة ، ودعم الحياة النيابية ، وحرر القوانين من التقاليد القديمة ، واهتم بإصلاح الطرق و مد خطوط السكك الحديدية ، وأبرم سلسلة من المعاهدات التجارية مع العديد من البلدان .
- اعنى بالناحية العسكرية فدرب الجيش وسلحه ونظمه وطور أساليبه وزاد في تعداده حتى بلغ تسعين ألف جندي
- اهتم كافور بجيشه محاولا البحث عن حلفاء يقفون إلى جانبه أوقات الحرب ، فاشترك كافور بجيشه مع فرنسا وبريطانيا وتركيا في حرب البلقان 1854 – 1856 ضد روسيا القيصرية ، فضمن بذلك مساندة فرنسا وإنجلترا له ، وأوصل صوت ايطاليا إلى كل المحافل والمؤتمرات ، وأبرزها مؤتمر باريس 1856 .
- استمال كافور حاكما فرنسا إليه ، بعدما وقف معه في مؤتمر الصلح في باريس وعقد معه اتفاقيات سرية أشهرها اتفاقية 20/07/1858 ، تقضي بأن تقف فرنسا إلى جانب ايطاليا ضد النمسا وفق الشروط التالية :
 - تضم لومبارديا والبندقية إلى بيدمونت وت تكون منها مملكة ايطاليا
 - إبقاء الولايات الوسطى والجنوبية وأملاك البابا مستقلة
 - يتكون اتحاد إيطالي من كل الولايات تحت زعامة البابا .
 - ضم نيس إلى فرنسا وإنشاء علاقة مصاهرة بين ابن عم إمبراطور فرنسا وابنة ملك بيدمونت .

الحرب مع النمسا :

بعد كل هذه الخطوات ، استفز كافور النمسا فطلب منها إخراج كل عناصر الجيش من الأراضي الإيطالية في ظرف ثلاثة أيام ، إثر ذلك هاجمت جيوش النمسا بيدمونت في أبريل 1859 ، واشتعلت نيران الحرب بينهما ، ووقفت فرنسا إلى جانب بيدمونت وهزمت النمسا في عدة معارك لكن سرعام ما تراجعت فرنسا عن دعمها و أبرم صلح بينهما في زيوريخ مطلع 1859 دون رضى كافور ، ونص هذا الصلح على ما يلي :

- توحيد ايطاليا بزعامة البابا .

- تكون البندقية جزءا من ايطاليا مع بقائها خاضعة للنمسا .

- يعود الأمراء المطرودون إلى دوقيات الوسط

- تتنازل النمسا عن لومبارديا لصالح بيدمونت

لم يقبل كافور بهذا الصلح واعتزل الوزارة ، فقامت من أجل ذلك ثورة في ولايات الوسط ورفض الشعب معايدة زيوريط بعد إجراء استفتاء عام ، كما وافقت الدول المعنية على ذلك في 2 أبريل 1860 ، فتضاعفت بذلك مساحتها بيدمونت وزاد عدد سكانها .

حركة غاريبالدي وإتمام الوحدة :

كانت الخطوة الأخيرة لاستكمال الوحدة هي ضم مملكة الصقليتين (نابولي) وبعض دوقيات الجنوب ، ولم تكن الظروف مناسبة لضمها ، فاغتنم كافور قيام حركة ثورية فيها بزعامة غاريبالدي ، واستماله كافور إليه ، ودعمه بالسلاح والمال فأسس جيشا من المتطوعين عرف (أصحاب القمصان الحمر) ، فذهب بهم إلى صقلية موطن الثورة وساعد التائرين ، وسرعان ما هزم ملك نابولي ، وتمت السيطرة على الجزيرة ، ثم قطعت الإمدادات ما بين نابولي وصقلية ، وتم الاستيلاء عليها ثم هبت نجدة أخرى بزعامة ملك بيدمونت لنصرة التائرين ، فقرر شعب الإمارة بالإجماع الانضمام إلى هذه الوحدة وبذلك انضمت آخر منطقة في جنوب ايطاليا واستكملت وحدة ايطاليا وأراضيها ، وأصبحت منذ سبتمبر 1861 تحمل اسم مملكة ايطاليا

باختصار الوحدة الإيطالية

كانت إيطاليا مقسمة إلى سبع إمارات، ثلاثة منها مستقلة والباقي تحت نفوذ النمسا، إضافة إلى ممتلكات الكنيسة. وكانت مملكة البييمونت أكثر الإمارات تطورا من الناحية السياسية والاقتصادية حيث تتمتع بملكية دستورية منذ 1848 وعلى رأسها الملك فكتور إمانويل. ولعب كافور دورا هاما في تحقيق الوحدة الإيطالية حيث كان يتزعم التيار الليبرالي الملكي المنسجم مع تطلعات البرجوازية. وتمكن من توحيد إيطاليا بمساعدة غاريبالدي الذي قاد المتطوعين وحرر معظم الأراضي الجنوبية تحت سلطة ملك البييمونت إيمانويل الثاني الذي أعلن ملكا على مجموع إيطاليا سنة 1861، ماعدا الأراضي الخاضعة للكنيسة.